حضرموت

وعهدها بالنحلة الاباضية

بقلم السيد عبد الله حسن بلفقيه العلوى [تريم]

لمحة عن مسمى حضرموت

حضرموت فى أصلها مملكة أو ولاية تقع فى جنوب شبه جزيرة العرب، وهى وإن كانت مضافة إلى اليمن وتحسب فى اعتبار البعض مخالفا من مخاليفه، فهى معدودة أيضاً كأحد الأقاليم الشهيرة التى يتألف منها شبه جزيرة العرب. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الكبير ابن خلدون فى تاريخه الشهير.

ويذكر ابن خلدون فى تحديده لإقليم حضرموت ـ كما يستخلص من مواضع متفرقة من كلامه فى تاريخه ـ أن حد إقليم حضرموت من الشرق إقليم عمان، ومن الغرب ناحية عدن أبيرة ومخلاف بيحان، ومن الجنوب البحر الهندى، ومن الشمال أرض وبار وبلاد كنده. (١)

وينقل ابن خلدون عن ابن حوقل تقسيم إقليم حضرموت إلى قسمين، فيقول: إنهما يكونان معاً لملك واحد، فيسمى أحدهما بحضرموت وهو قسم الداخل، ويسمى الآخر ـ وهو القسم الساحلى ـ بالشحر وبلاد مهره وبسايط حضرموت. وتحديده لهذا القسم الساحلى بأن من غربيه ساحل البحر الهندى الذى عليه عدن (٢)؛ وفى شرقيه بلاد عمان، وفى جنوبيه بحر الهند مستطيل عليه، وفى شماله حضرموت كأنها ساحل له.

أما بعض المتأخرين من علماء حضرموت فلهم أقوال أخرى ينقلونها عن تحديد حضرموت؛ وأشهرها أن حدها بجهة الغرب الجنوبى عين بامعبد الواقعة غربى بير على، وفى الشرق الجنوبى المكان المسمى بديموت الكائن غربى سيحوت، وفى الغرب الشمالى حدود ريدة الصيعر، وفى الشرق الشمالى نهاية حدود مهره فى الشمال. فيحمل هذا التحديد شرقاً على المشقاص وما حاذاها من التخوم الفاصلة بين أرض الظنى ومهره، ويحمل غرباً على جردان وما والاها.

---

(١) ص ٩٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ج ٤ : ابن خلدون.

(٢) عدن المذكورة هنا هى عدن أبيره. انظر ص ٢٢٢ ج ٤ : ابن خلدون.

أقدم عهد لاتصال الخوارج بحضرموت

أول ما كان من اتصال الخوارج بحضرموت مايذكره المؤرخون كابن خلدون من انتياب الخوارج النجدية، أى أشياع نجدة بن عامر الحنفى، لحضرموت وبعثهم لها فى سنة ٦٦ من الهجرة بافديك لقبض الصدقة باسم الفرقة النجدية.

بدء عهد الإباضية

ثم كان عهد الإباضية[1] أتباع عبد الله بن إباض الصريمى الحارثى، وهم إحدى فرق الخوارج. ويجتمعون مع بقية الفرق الخارجية فى القول بإكفار عثمان وعلى ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم. وفى القول أيضاً بإكفار الزانى والسارق، وفى القول بوجوب الخروج على السلطان الجائر. ويبتدىء عهد الإباضية بحضرموت بدخول أبى حمزة الخارجى البصرى إلى حضرموت سنة ١٢٩ هجرية بعد افتتان عبد الله بن يحيى الكندى به وبدعوته الإباضية حينما لقيه بمكة سنة ١٢٨ هـ.

محاولة إنكار العهد الإباضي بحضرموت

كتب صاحب جريدة (الهدى) السينقافورية حضرة عبد الواحد الجيلانى مقالا اطلعنا عليه بمجلة (المعرفة) عدد نوفمبر ١٩٣٢ عنوانه (مجلة المعرفة وما ينشر فيها). وفى هذا المقال أبدى صاحب جريدة الهدى محاولة إنكار وجود عهد النحلة الإباضية بحضرموت، وما كان من إبادتها عقب دخول الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت وتوطن السادة العلوية بها مما ذكره مؤرخو حضرموت.

وإلى القراء بعض ما قاله فى هذه المحاولة:

« وقد ظن بعض القراء أن السيد طه أراد بمقالته تلك إثبات وجود النحلة الأباظية (كذا جاء بالظاء المعجمة وبفتح الهمزة) بحضرموت وإبادتها على يد أحمد بن عيسى المهاجر الذى هاجر إلى حضرموت من العراق كما يقول السيد طه وغيره من الكتاب الباعلويين[2] مما لم يذكره مؤرخ ثقة، ولكننا لانعتقد ذلك، فالسيد طه لاناقة له ولا جمل فى علم التاريخ، ولا نظن أنه اطلع على أى تاريخ معتبر»، هذا ما قاله حضرة ع. و. الجيلانى.

---

(١) بكسر الهمزة كما ضبطه شارح الكامل: سيد بن على المرصفى.

(٢) نرى حضرة ع. و. الجيلانى يكرر دائماً لمناسبة ولغير مناسبة — كلمة «الباعلويين» التى لم تسمع قط قبله، ولم يقلها أحد من النسابين، والذى يظهر أنه إنما يفعل ذلك لحسبانه أن هذا هو من الكياد للسادة آل أبى علوى العلويين الذين أخذ على نفسه الوقيعة فيهم طاقته. ونحن نجله عن أن يغفل عن أنه بتشبثه بهذه الكلمة الركيكة إنما يظهر للملأ إما جهله وإما

الأسباب التي أوجبت تأجيل البحث إلى اليوم

كنت كل هذه المدة الماضية أتطلع إلى ما يكتبه الأستاذ السيد طه السقاف في سبيل الدفاع عما نقله والذب عن مقاله، لأني قررت لزوم جانب التوقف والتمهل ريثما يتولى حضرته ذلك أو يقوم غيره من أنصار التاريخ من مواطني بالمهجر فيعرف صاحب جريدة الهدى مبلغ علمه بالتاريخ وبكتب المؤرخين وبصره بحقيقة دعاويه وما ظهر من ريائه العلمي ولا يدعه حتى يترك له ولغيره من المتطفلين أكبر عظة وأعظم عبرة من ناحية التاريخ الحضرمي، وهي أن تاريخ حضرموت بعد الاسلام قد حققه الحضارمة واليمنيون، وما بقي لتشويش الدخلاء إليه سبيل ولا لعبثهم متسع.

وذلك لأن هؤلاء الدخلاء قد أكبروا الأمر وأعظموا الفرية، حيث تظاهروا وادعوا — على جهلهم — بأنهم أعرف بتاريخ حضرموت من علمائها وأدبائها، بل من مؤرخيها وجهابذتها.

لكنه قد خطر لي بعد مضي هذه المدة الطويلة دون عثور على رده، ووقوف على تعقب لمحاولة صاحب جريدة الهدى بصدد النحلة الإباضية وعهد حضرموت بها — خطر لي أن ربما يوجد هناك علة تصرفهم — أي مواطني هناك — عن التعقب والاستدراك على هذه المحاولة الواهية، كشعورهم مثلاً بانبناء أمور هؤلاء على محض المماراة ومجرد السفسطة.

فقلت حينئذ إن كان هذا هو الصارف لهم ومن أجله لووا عنان تعقبهم لصاحب جريدة الهدى واستدراكهم على أخطائه في محاولته — فإني بهذا لا أرى رأيهم لما يؤدي إليه من التشكيك والارتياب في صحة حادثة من أشهر حوادث الماضي، وواقعة من أظهر وقائع الغابر.

ماذا قال المؤرخون عن دخول الإباضية ووجودها بحضرموت؟

إن واجبي بازاء محاولة صاحب جريدة الهدى — لإنكار عهد الإباضية بحضرموت وإنكار إبادتها على يد العلويين وتلامذتهم وأنصارهم — يتحدد في ألا أزيد على نقل أقوال مشاهير المؤرخين وثقاتهم لدى الأمة العربية والشعوب الاسلامية. وأن أسرد ما ذكروه في تاريخهم عن

تحامله، لأن كتب الأنساب طافحة بذكرهم على غير ما يقول. والنسابون من العرب في مشارق الأرض ومغاربها مطبقون على تسميتهم بآل أبي علوي وبالعلويين. ولكن إذا كانت عقلية صاحبنا تصور له أن ابتداءه اليوم هذه الكلمة يعد فتحاً عظيماً له في عالم الاختلاق وعجداً يخلد له في بطون الأوراق، أو تصور له أيضاً أنه بهذا سيكون مخرجاً للسادة آل أبي علوي عن حظيرة العلوية التي توأطأ النسابون على اقتمائهم إليها — فلمقليته أن تبرز للعالم ما شاءت من المخزيات والمضحكات ولا عتاب ولا ملامة، مادام هو فرحا بذلك.

دخول النحلة الإباضية إلى حضرموت ،وعن وجودها مدة تقرب من القرنين حتى جاء عهد السادة العلويين الذى كان فيه إبادتها وتطهير الإقليم الحضرمى منها .

ولا أتعرض إلى غير عزو القول إلى قائله ملخصاً أو مبسوطا ، ولكنى أدع التعليق على ذلك لقراء « المعرفة » الذين بينهم — والحمد لله — العدد الكثير من ذوى المكانة العالية فى العلم والفطنة ، والاطلاع والتحقيق .

ابن جرير الطبرى

قال ابن جرير الطبرى فيما يرويه عن موسى بن كثير : كان أول أمر أبى حمزة،وهو المختار ابن عوف الأزدى السلمى من البصرة . قال موسى: كان أول أمر أبى حمزة أنه كان يوافى كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان ، قال : فلم يزل يختلف فى كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى فى آخر سنة ١٢٨ فقال له : يارجل اسمع كلاما حسناً، أراك تدعو إلى حق فانطلق معى، فإنى رجل مطاع فى قومى،فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان [١].

المسعودى

قال المسعودى فى تاريخه : وفى سنة ١٣٠ جهز مروان بن محمد جيشاً مع عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلخ (يعنى ابن عقبة الأزدى)، وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج ، وسار عبد الملك فى جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن ،وخرج عبد الله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطايف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى [٢] وأكثر من كان معه من الإباضية، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت ، فأكثر أهلها إباضية إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ؛ ولافرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج فى هذا الوقت [٣].

ابن الأثير

قال ابن الأثير فى تاريخه الكامل فى حوادث سنة ١٢٨ : كان اسم أبى حمزة الخارجى

---

(١) ص٧٨ ج ٩ :تاريخ الطبرى طبعة أولى بالمطبعة الحسينية بمصر.

(٢) ذكر المسعودى قبل هذا الكلام أن عبد الله بن يحيى سمى نفسه طالب الحق ..

(٣) ص ٦٧ ج ٣ من تاريخ المسعودى المسمى بمروج الذهب،والمطبوع بهامش نفح الطيب سنة ١٣٠٢ بالمطبعة الأزهرية بمصر .

المختار بن عوف الأزدى السلمى البصرى، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الإباضية يوافى كل سنة مكة ويدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد، فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق فى آخر سنة ثمان وعشرين، فقال له : يارجل أسمع كلاما حسناً ، وأراك تدعو إلى حق فانطلق معى فإنى رجل مطاع فى قومى، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان . وقال فى حوادث سنة ١٢٩ : وفى هذه السنة قدم أبو حمزة بلخ بن عقبة الأزدى الخارجى الحج من قبل عبد الله بن يحيى طالب الحق محكما للخلاف على مروان بن محمد ، فبينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمايم سود على رءوس الرماح وهم سبعمائة، ففزع الناس حينما رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان. وذكر فى حوادث سنة ١٣٠ بقية أخبار أبى حمزة وقتله وقتل طالب الحق .(١)

ابن خلدون

قال فى تاريخه : كان اسم أبى حمزة الخارجى المختار بن عوف الأزدى البصرى، وكان من الخوارج الإباضية، وكان يوافى مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان . وجاء عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ١٢٨ وهو من حضرموت فقال له انطلق معى فإنى مطاع فى قومى فانطلق معه إلى حضرموت وبايعه على الخلافة . وبعثه عبد الله سنة ١٢٩ مع بلخ بن عقبة الأزدى فى سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف. وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وذكر ابن خلدون قتل أبى حمزة وانهزام الخوارج بوادى القرى ، وقتل طالب الحق بعد ذلك . (٢)

وساق فى آخر الباب كلمته عن انقراض كلمة الخوارج بالشام والعراق إلى أن قال: إلا ما كان من خوارج البربر بافريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم ثم فشت دعوة الإباضية والصفرية... إلى قوله : وبقيت آثار نحلتهم فى أعقاب البربر ، ثم قال بعد ما تقدم: وكان بنواحى البحرين وعمان إلى حضرموت وشرقى اليمن ونواحى الموصل آثار تفشى وعروق فى كل دولة .

وختم ابن خلدون الباب بهذه الجملة : ويقال إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة

---

(١) ص ١٦٦ و ١٦٧ و ١٧٧ و ١٨٥ و ١٨٦ ج ٥ من ابن الأثير طبعة أولى بالمطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣١٠.

(٢) ص ١٢٧ ج ٣ : ابن خلدون

ببلاد حضرموت (أى عهد المؤلف فى النصف الأخير من القرن الثامن) ، والله يضل ويهدى من يشاء. (١)

ونقل ابن خلدون عن ابن حوقل مانصه : ويسكنها (أى الشحر ، وهو قسم حضرموت الساحلى) بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاعة ...إلى أن قال : ودينهم الخارجية على رأى الإباضية منهم. (٢)

مقارنة بين أقوال الشلى وأقوال هؤلاء المؤرخين

ينسب صاحب جريدة «الهدى» الشلى صاحب المشرع الروى فى مناقب بنى علوى ، إلى أنه لا يكتب لمجرد التدوين التاريخى ، وأن صفته التحامل والتحزب فيما يكتب ، ونحن مضطرون هنا إلى نقل ماأورده الشلى بهذا الصدد مما يجعله صاحب جريدة الهدى محوراً للاستشهاد على تحامل العلويين ، الذى مازلنا نجهله ونجهل كثيراً الطرف المقصود به فى هذا المقام .

قال الشلى رحمه الله : ثم فى سنة تسع وعشرين ومائة استولى على هذا الإقليم طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى الأعور ، واجتمع عليه الخوارج ، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها فجبى الأموال وجهز إلى مكة عشرة آلاف وغلبوا عليها ، ولما سمع بخبرهم مروان بن محمد - وكان بالمدينة - جهز عليهم والتقى الجمعان بقديد فى صفر فانهزم أصحاب مروان وقتل منهم ثلثمائة نفر من قريش منهم حمزة بن مصعب بن الزبير وابنه عمارة وابن أخيه مصعب بن عكاشة وأمين ابن عبد الله وعمرو بن عثمان ، وقتل من بنى أسد أربعون ، وفيه يقول النابغة :

ما للزمان ومالیه أفنى قديد رجاليه

ثم بعث مروان بن محمد أربعة آلاف عليهم عبد الملك بن عطية السعدى ، والتقوا مع أصحاب طالب الحق بمكة المشرفة ، فانتصر أصحاب مروان وقتلوا أصحاب طالب الحق ، فلما بلغه ذلك أقبل من اليمن فى ثلاثين ألفاً ، وسار ابن عطية لقتاله فالتقوا ثانياً ودام القتال حتى قتل طالب الحق وقتل معه ألف حضرمى وبعث برءوسهم (٣) إلى مروان ... ثم قال بعد كلام لاعلاقة له بالموضوع : ولم تزل الإباضية ظاهرين فى هذا الإقليم وشوكتهم قائمة إلى أن قدم المهاجر إلى الله

---

(١) ص ١٧٠ ج ٣ : ابن خلدون .

(٢) ص ٢٢٧ ج ٤ : ابن خلدون .

(٣) نقل ابن الأثير فى الكامل قتل طالب الحق وحمل رأسه إلى مروان .

عالى أحمد بن عيسى [١] (وساق نسب المهاجر) فطهر الله به البدع والضلال بما أورده من صحيح الاستدلال، وأحياه به ونشره بعد ما أماته وأقبره . ثم تلاه الشيخ سالم [٢] فأنزل البدعة إلى أنزل رتبتها، ونشر العلوم وأظهر فضيلتها . ثم عززها الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم [٣] فقدس به ذلك الوادى ، وأسس على التقوى مسجد ذلك النادى، فأظهر فى هذا الإقليم عقائد أهل السنة والجماعة، وأحيا العلوم على الصراط المستقيم، قاصداً بذلك وجه الله الكريم .

وقال فى موضع آخر: لما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار ، وعملت المطى إليه من أقصى القفار ، ودخلت الخوارج تحت الطاعة، وعلمت الإباضية أن ليس لهم بأهل السنة استطاعة ، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد اضمحلال، وأظهر إمامه الإمام الشافعى بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمى فى علياء رتبه ، وتاب على يده خلق كثير ، ورجع عن البدعة إلى السنة جم غفير، بعد أن ركبوا الصعب والذلول فى تشتيت شمله والله يجمعه ، واجتهدوا فى خفض مناره والله يرفعه . [٤]

هذا هو ماأورده صاحب المشرع بصدد عهد الإباضية بحضرموت وكيف كان دخولها إليها . وكيف تمت إبادتها فى عهد العلويين . فأين هو ياترى أثر ذلك التحامل العظيم الذى يرفع به عقيرته حضرة عبد الواحد الجيلانى فى هذا المقام وفى غيره، فيهيب به أقواما أبرياء يقرأ كتاباتهم المنصفون فيأسفون أن يكون بين كتاب الضاد كاتب لبق كحضرة صاحب جريدة الهدى يكرس وقته النفيس ويستخدم قريحته الوقادة فى القذع واللذع وجرح العواطف ومغالطة الحقائق وإيقاد نيران الفتن بين أبناء الوطن الواحد ؟ إن هذا مما لا يرضاه له أى حادب عليه ، هداه الله وإيانا سواء السبيل ؟

[تريم . عدن] عبد الله بن حسن بلفقيه باعلوى العلوى

---

(١) هاجر المهاجر إلى حضرموت سنة ٣١٧ بطريق الحجاز واليمن، ووصلها حوالى سنة ٣١٩ وتوفى بها سنة ٣٤٥ .

(٢) الشيخ سالم هو سالم بن بصرى ترجمه الطيب بامخرمة فى الجزء الثانى من تاريخه فقال: سالم بن بصرى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر الصادق إلى آخر نسبه؛ ثم قال: وبصرى المذكور هو أخو علوى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى جد الأشراف آل أبى علوى؛ وذكر أنه توفى سنة ٦٠٤ هجرية.

(٣) توفى الفقيه المقدم رضى الله عنه وتبع به بتريم سنة ٤٥٣ هـ .

(٤) ص ١٢٧ و ١٥٤ و ١٥٥ ج ١: المشرع الروى .